# أمين المعارف العربية

**أ. د . كمـال بشـر**

**أستاذ علم اللغة**

**وعضو مجمع اللغة العربية**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

أستاذى ومعلمى الدكتور شوقى ضيف . .السادة الحضور

إنها لفتة طيبة خالصة من كلية الآداب وبخاصة من قسم اللغة العربية بأن يقوم بهذا الوفاء لهذا العملاق، لهذا الهرم الكبير الذى تعتز به الأجيال، وسوف يمتد هذا الإعزاز إلى ما شاء الله. وإنى لأعتب على الدكتور طه وادى أن أخذ هذا الموقف الشعرى الوجدانى، وكنت أفضل أن يكون الموقف موقف بحث ودراسة فيما صنعه ويصنعه هذا العملاق، وكان ذلك يتم بالنظر فى أعماله نظرة علمية أكاديمية، لنحصل أو لنعثر على القيم العلمية الأكاديمية الإنسانية من أعمال هذا الرجل العظيم، ومن ثم أنا لا أعود إلى تاريخ الرجل وأعماله جزئية جزئية، وإنما أقول: إن شوقى ضيف يمثل قيمة، إنه واسطة العقد بين القديم فى أصالته والجديد فى طرافته.

لقد كتب أعماله بفكر وأسلوب يجمع بين الجانبين معا، ويمزج بينهما مزجا عاقلا متوازنا، إن أعماله ترد على القائلين بفكرة الأصالة والمعاصرة، أو بفكرة القديم والجديد وما إلى ذلك.

**القيمة الأولى**: هى أن شوقى ضيف بأعماله يمحو هذه الدعوة الكاذبة، وهى الكلام على مايسمى بالأصالة والمعاصرة أو القديم والحديث، إنه أخذ من القديم أصالته ومن الحديث طرافته. وأنا أتحدى المتخصين أن يكتبوا فى القديم مثلما كتب، كما أتحدى المحدثين أن يكتبوا فى الحديث كما كتب، إنه واسطة العقد بين أولئك وهؤلاء.

**القيمة الثانية**: أن أعماله تتسم بالتنسيق الأصيل، أنا أقف من هذا الرجل –والتشبيه

مع الفارق- موقف سيبويه عندما كان يشير إلى أستاذه الخليل بن أحمد وأبى زيد الأنصارى اللذين كان يعتز بأستاذيتهما. وكان يكتفى سيبويه هذا بالإشارة إلى أستاذه الخليل يقول قال: وإذا قال مجرد هذه العبارة فأنت تعلم أن القائل هو الشيخ العظيم الخليل بن أحمد. وهكذا أصنع مع الدكتور شوقى ضيف، كلما جاءتنى مشكلة لغوية أو أدبية أحيل إجابتها لهذا القول، وقال أى قال شوقى ضيف، وكذلك كان سيبويه يشير إلى أبى زيد الأنصارى بقوله: وقال الثقة، فإذا قال فى كتابه وقال الثقة دون ذكر اسمه، تعلم أنه أبو زيد الأنصارى. وهكذا أيضا أنا أقف من أستاذى ومعلمى شوقى ضيف هذا الموقف، فإذا سئلت وعجزت عن الإجابة قلت سلوا الثقة، والثقة هو شوقى ضيف، والقضية فى نظرى ليست قضية تاريخ وإنما قضية قيم.

**القيمة الثالثة**: فى أعمال شوقى ضيف أنه فجَّر قضية اللغة العربية وتيسير قواعد اللغة العربية، وهى قضية شائكة يخشى الدخول فيها كثير من المتخصصين وغيرهم بدعاوى مختلفة، ولكن الرجل بعمق فكره وإمساكه الواثق بالقديم العاقل وبالحديث الطريف استطاع أن يدخل هذا الميدان وأن يصنع شيئا، وأن يرود لنا هذا الطريق الشائك، وأن يوجهنا إلى كيفية الإصلاح أو التهذيب. ومن بعده سار الناس على نهجه ونحن نسير الآن فى هذا الطريق الشائك، ولكننا وصلنا إلى نتيجة وهى أن قواعد اللغة العربية تحتاج إلى نظر عاقل واع. هذا بالإضافة إلى أن هذا الرجل من أكبر المتخصصين والمتمسكين بأهمية اللغة العربية وفى كونها دستور الهوية العربية الإسلامية.

وأذكر له موقفا سابقا حينما عدت صبيا يافعا من بعثة فى لندن، وقابلته لأول مرة فى قسم اللغة العربية، وعرف أننى لغوى فأهدانى كتابا صغيرا فى اللغة، ولكنه كبير فى قيمته ومازلت أحتفظ به، وقد كان هذا الكتاب رائدا لى ومرشدا فى الدخول إلى مشكلات اللغة العربية وبعض مسائلها، بالطريقة التى أستطيع أن أستوعبها.. وهو كتاب «الرد على النحاة».

هذان الجانبان من جوانب القيم التى أرساها شوقى ضيف:

**القيمة الأولى**: إنه ليس قديما ولا حديثا لكنه أتى بأعمال قديمة فى صورة حديثة، تبين لغير العارفين أن هناك عقولا راشدة، تستطيع أن تجمع بين هذا وذاك، بحيث تسكت هذه الأصوات العالية، التى تريد أن تجرنا إلى مزالق فكرية أيديولوجية لسنا فى

حاجة إليها، وما أكثر المصطلحات التى تسيىء إلى موقعنا العربى الإسلامى فى هذا الوقت بالذات، مصطلحات كثيرة لا أريد أن أذكرها، ولكن قراءة فاحصة واعية فى أعمال شوقى ضيف ترد على هذه الأصوات العالية، الذين ينادون بها خدمة لأيديولوجيات معينة، أو لهدف معين. وأنا أعلم بعض هذه الأهداف.

**القيمة الثانية**: كما قلت – هى القيمة القومية العربية، هذا الرجل يمثل القومية العربية فى أجلى صورها ابتداء من كونه أستاذا للقادة العلماء فى البلاد العربية، وإلى أعماله التى كتبها فى خدمة اللغة العربية، وإن كانت بعض أعماله لم تصل أعماقها إلى كثير من الناس إما جهلا وإما عدم معرفة بما يجرى. وفى الواقع الكلام كثير وكثير، ولكننى فى النهاية **أقترح شيئين**:

**الاقتراح الأول**: أن تعقد ندوة علمية كبيرة –يقوم بها قسم اللغة العربية أو أقسام اللغة العربية ودار العلوم وكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف– لدراسة أعمال هذا الرجل دراسة علمية أكاديمية، لاستخلاص المبادئ والقيم التى انتظمتها هذه الأعمال، وأن يعد لهذه الندوة إعدادا جيدا طيبا وأن يدعى إلى المشاركة فيها أساتذة متخصصون فى كل فرع من فروع المعرفة أو المعارف التى سيطر عليها شوقى ضيف.

**الاقتراح الثانى**: أن أنعته – إن قبل وإن وافقتم – بأمين المعارف العربية، ولا أقول المعرفة، لاحظوا أننى قلت أمين المعارف العربية، أرجو أن يكون هذا لقبا لشوقى ضيف وأن يقبل أستاذنا هذا اللقب من تلميذ متواضع – إننى عندما أجلس إليه إنما أجلس إلى واحد من أمناء الفكر فيه عبق الأصالة وعبق الشموخ وعبق التواضع، التواضع العجيب الذى يتحلى به شوقى ضيف – من أين أتى به هذا الرجل فى هذا الزمن الردىء، وكيف يتحمل كل هذا فى هذا الزمن الردىء. ولكنه هو الهرم وهو الجبل الذى يمكن أن يصد كل ريح عاتية. شكرا لكم والسلام عليكم.

**أ.د. كمال محمد بشر**

**أستاذ علم اللغة**

**كلية دار العلوم**

**وعضو مجمع اللغة العربية**